

## « جيل القدر » : الرواية السيمفونية ..

بقلم أوهانيس ميسر

الإنساني لكل شخصية بصورة مستقلة وعلى اساس له من الوضوح بعض وجوهه النسبية ، فنعلم ، مثلا ، من خلال مذكرات « ليلي » انها على علاقة ب « نبيل » ، وان هذه العلاقة ، وان جاز وصفها بالحب ، تكشف تدريجيا عن نوع من الصراع الذي يقوم في سبيل تثبيت شخصية كل منهما لقاء شخصية الاخر . ويعمد هذا التثبيت الى محاولات خلق البطل في الذات بطريقة تكوينية سرية من عناصر داخلية مزوجة بجمع مظاهر التمزق والمعاناة العقديّة .

تلقتي ليلي بنبل في حفلة جامعية كان يعزف فيها على الكمان ويتم التعارف عن طريق صديقة هي « هيفاء » ويبدأ الصراع منذ لحظات اللقاء الاولى متخذاً خطه الدينامي في هجوم ليلي على نبيل واعتبارها موسيقاه موسيقى فوضوية لا تحمل موضوعا انسانيا او قوميا معينا . وتكتشف ان هناك حبا من نوع خاص يجمع بين نبيل وهيفاء ، الفتاة المترفة الجميلة البريئة . غير ان نبيل لا يلبث ان ينجذب الى ليلي .. تجمع بينهما المعاناة العقديّة لنزوع تاصيل الذات ، بينما تضطرب في اعماق كل منهما حركة تكوينية شاقّة من القلق والسوداوية . ونعلم ان ليلي ذات ماض حافل بالعلاقات مع الشباب ، وبصورة خاصة علاقتها ب « هاني » الشاب الفلسطيني الذي يجعل ليلي تهجره بسبب جبنه ولاميلاته في قضايا وطنه الضائع . ويعود هاني من سفره في اميركا ويحاول استعادة ما كان بينه وبين ليلي ولكن محاولته هذه تنتهي الى الفشل .

واما نبيل فلقد كان تعرف بهيفاء عن طريق الهاتف وبدأت العلاقة بينهما كنوع من الصب ، ثم تطورت الاحاديث لتتخذ عمقا خاصا . ويتفق الاثنان على اللقاء ويتم اللقاء في بيروت .. وهناك يرفض نبيل ان ينال جسد هيفاء وتصاب هي بخيبة امل . غير انها لا تلبث حتى تدرك السبب وهو ان نبيل يعتبر العلاقة الجنسية ذروة لتفاهم كامل ..

وبينما تتطور العلاقة الى الخطوبة والى الشروع في تهيئة البيت نجد توتر نبيل يبلغ اشده . فهو يعاني من جهة الالتحاق بالعمل النضالي ضد حكم الشيشكلي ويعاني في الوقت ذاته مشكلة البحث عن نموذج بطولته الخاصة .. ويحس نحو هيفاء بنوع من اللانسجام من حيث نوعية الاسس التي تقوم عليها حياة كل منهما .

واما ليلي فنهم من مذكراتها انها فتاة ذكية جميلة أنشأها ابوها على حب النضال وتمجيد العروبة والحقها بأرقى المدارس الاجنبية . وعندما تعود ليلي الى البيت تجد نفسها تزف قسرا الى رجل في مدينة محافظة . وتجد في وحشية هذا الرجل ما يضطرها الى الفرار منه والى الرجوع الى دمشق . وتنهار عائلة ليلي وينفصل الاب عن عائلته .. وتعود ليلي الى الدراسة في الجامعة وتمارس حياة صاخبة ذات ظلال متعددة تحاول فيها ان تجد تجسيدا ذاتيا لحربتها كما تفهمها هي في ثورة وتمرد يطيحان بكل المقاييس بالنسبة لها الا مقياس الصدق والبراءة في اعماقها .

وتعلم ليلي ان ابها ، وهو احد ضباط الامن منذ عهد الانتداب الفرنسي ، كان تاجر اسلحة في معركة فلسطين .. وتصدمها الخيبة الثانية بعد خيبتها في زواجها القسري . ويدفمها نزوع لا وعيي - قد يكون قوامه الرغبة في الادانة - الى ان تحب هاني اللاجئ ولكنهما

لقد عرفنا الاستاذ مطاع صفدي في « اشباح ابطال » ثم في « الاكلون لحومهم » والان في قصته الطويلة « جيل القدر » ، هذه القصة او الرواية التي تمثل في ادبنا مرحلة جديدة من ابرز خصائصها شمولية النظر الى الحياة في مختلف ظواهرها وتعقد معالمها ، دون اعتبار القيم النسبية للزمان والمكان .

ان هذه المرحلة ليست جديدة في تاريخ الفكر الانساني في الفلسفة الا انها جديدة في الادب بصورة عامة وفي القصة بصورة خاصة . كانت القصة عندنا ، وما زالت ، اما متعة ذهنية رخيصة واما تنفيسا عن نزوع جامع واما عملا تجاريا يرمي الى الكسب والربح والى الاستعلاء الكيشوتي .

وليس غريبا ان ينظر مطاع الى القطاعات الحياتية والانسانية المختلفة نظرة شمولية وان يكتب عنها كتابة شمولية ايضا . وعدم القرابة او استبعاد القرابة في ذلك يعود الى العناصر الاولية التي تتكون منها سدبمته الذهنية . وقوام هذه العناصر عند مطاع هو الفلسفة العامة ثم الفلسفة الوجودية في حالتها التاريخية والتطورية المتسدة ثم الادب ثم الموسيقى السيمفونية .

والقصة عند مطاع خير مجال يسلك للتعبير ، عن طريق هذه النظرة الشمولية ، عن التفاعل النفسي والذهني الذي يتم بينه وبين شتى ظواهر الكون الحياتي - الانساني . ومما يجعل القصة خير مجال عنده لمثل ذلك هو ان السطح الاساسي او « الفون » الذي تستقر عليه جميع ابعاده وزواياه الفكرية هو اللون السيمفوني والدينامية السيمفونية .

واذا كان يصعب على صاحب الفكر الشمولي ان يعدد زوايا النظر في مجاله للامر الواحد في ميدان المقالة او البحث او الدرس ، فانه يستطيع ان يعدد هذه الزوايا في مجال القصة ويستطيع ايضا ان يعطي زواياه درجة الانفراج التي يتطلبها جو السيمفونيا الكلامية وان يقلص او يسطر ابعاده بالقدر الذي يريده ان يكشف عن جوانب الموضوع الذي يعالجه شكلا ولونا ومعنى .

وجيل القدر هذا ، في صفحاته الخمسة ، اطلالة شمولية سيمفونية على كثير من نواحي الوجود وجوانب الانسان ، اطلالة فيها كل توق الحياة الى الاستمرار الصاعد وفيها كل حنين الانسان الى عناق الكون .

اذا سألت مطاع عن الانسان ما هو ، قال لك دون تردد : « الانسان امكانية مطلقة تتفتح بمقاومة كل ما يفايرها من وجود مادي او وجود ميتافيزيائي » . واذا سألته عن علاقة الانسان بالكون ، قال لك بالعفوية ذاتها : « الانسان بالنسبة للكون هو الوعي » . ومن هذه النقطة يجب ان نطلق في اجواء جيل القدر .

وانه واضح في العمل الروائي ان انسياب الاحداث وتقاطر الوقائع هما اللذان يعكسان البنيان الداخلي للرواية ويعطيان فكرة واضحة عن هيولها . ولما كانت هذه الرواية من الروايات التي تضع اسسا جديدة مختلفة للبنيان الداخلي كان لا بد من استعراض عاجل للاحداث الخارجية في الرواية .

تقدم الفصول الاولى ظللا اولية لبعض الشخصيات الرئيسية من خلال احداث تعتمد على اللقاء المتقابل في سبيل ايضاح الاتجاه

تكشف بعد قليل انهزاميته فتهجره .

وهكذا يلتقي هؤلاء الاشخاص الاربعة وكل منهم يجز عقديته او اشكاليته الخاصة في جو يسيطر فيه الضغط والارهاب .

ويتابع نبيل رغبته في الانحساق بالعمل السوري ، غير ان المحاولات التي يقوم بها الشباب الجامعي تنتهي الى الفشل والسي زج بعضهم في السجون والى تشييت البعض الاخر في هروب واختفاء . ويجتمع فجأة كل من هؤلاء الاربعة مع افراد منظمة ارهابية التقوا - بما فيهم عدنان شقيق ليلى - عند تدبير مؤامرة لاغتيال الطاغية . وتفشل المؤامرة ايضا لاسباب ازدواجية المؤامرة فيشعر (( الابطال )) الاربعة بخيبة مرة نهائية لانهم فشلوا حتى في القتل ! وينتهي الامر الى تشييت اعظم . فيختفي نبيل ، البطل الاول للقصة ، ويفادر حسان الى حلب ، وتنتحر هيفاء الجميلة المترفة ، وتمرض ليلى الضائعة بين رفات ذاتيتها الفامضة ، ويرحل هاني نهائيا الى اميركا . . وينتهي هنا الكتاب الاول من الرواية .

اما الكتاب الثاني فنجد فيه متابعة متشابكة لتجربة شخصية جديدة كنا قد احطنا في الكتاب الاول احاطة عابرة بها ، وهي شخصية حسان صديق نبيل الاول . لقد رحل حسان الى حلب وهناك هجر حياة دمشق هجرا كاملا من ترك للوظيفة وتخل من مسؤولية العائلة وانغماس في حياة فوضوية متشردة . ويتعرض حسان عن طريق رازم الشيومي الطرود الى سلسلة من الاحداث تبدو اكبر من حدود شخصيته واصغر من نزوعه العفوي الى تحقيق الذات نزوعا يعلو حيناً وينخفض حيناً اخر . .

وهناك تظهر على مسرح العمل الروائي شخصيات شعبية جديدة منها شخصية (( ابي حمدو )) صاحب عربة النقل و (( ابي سعيد )) الذي يدبر المفهى الشعبي الذي يملكه و (( سليمان )) من الموجهين العماليين الشيوعيين ، هذه الشخصيات التي ليس لها في بيسان الرواية من اهمية اولية الا عملها العرضي لبعض نماذج يكثر وجودها في مجتمعنا من ناحية ، والا كونها نقاط تحويل في سياق القصة ذاتها من ناحية ثانية .

ويتلو ذلك فصل اخر تتحول فيه الرواية الى الحديث عسـن نبيل الذي كان قد اصيب بتزيف رئوي وصار في مصحح تابع لاحد الاديرة . وفي الدير يقع الاب والطبيب في حيرة من امره عندما يصبح نبيل ما بين ان تنفجر رئته ويموت وبين ان يتفجر هو حيوية على اوتار الكمان في حالة غريبة شاذة يحار الطبيب في تفسيرها . وفي الدير ايضا تقع مفاجأة لم يكن في الوسع توقعها اذ يصادف نبيل صديقة له بين الراهبات كان في الماضي عى علاقة بها وادت هذه العلاقة الى دخولها الدير . . وكانت هذه الراهبة تدعى (( جوليا )) .

وتتنازل جوليا عن رهبتها عندما تستعيد ذكريات علاقتها بنبيل ثم تهجر الدير لبدأ الاثنين حياة جديدة في بيروت لا هدف لها ولا وضوح . وتتاح له هناك فرصة للظهور في حفلة موسيقية تقام له في الجامعة الاميركية . وبلغ النجاح الذي يصيبه في هذه الحفلة مسامح ليلى في دمشق فتسرع اليه لتذكره بما ينتظره من واجب قومي في سورية . ولما كان نبيل ساعته يعاني من ازمة وجدانية فانه يستجيب لها ويعود الى دمشق لاستئناف النضال القومي .

ثم يجيء فصل اخر تتنقل فيه الرواية الى شخصية جديدة هي شخصية (( محمد )) الذي كان في مستهل حياته بائعا للصحف حيث كان على علاقة او صلة بالصبيبة الصغيرة وقتئذ هيفاء . وتخرج معه ذات ليلة في مفامرة مدهشة ينتهي فيها الاثنان الى مخفر الشرطة بعد جولات في مشارب وحانات مشبوهة .

وبنفصل الاثنان ( محمد وهيفاء ) ثم يلتقيان بعد مدة طويلا في الجامعة تكون فيها هيفاء قد اختارت نبيلاً بصورة نهائية . وتتخذ الرواية من محمد بعد ذلك واسطة لتصوير بعض الحركات السياسية الطلابية في عهد الشيشكلي وبعض الاوضاع التي كانت عليها البلاد وقتئذ . فتبرز المظاهرات ونمر بمعتقل الشرطة العسكرية

وننتهي الى سجن المزة حيث يتعرض الطلاب والعمال الموقوفون - ويكون نبيل ايضا هناك مع فئة من زملائه - الى ضروب من التعذيب الجسدي والنفسي . وينتهي هذا الفصل بالانقلاب ضد الشيشكلي وبالافراج عن الموقوفين .

ويليه فصل اخر يصور فراغ الشباب وخيبة املمهم عندما ساد البلاد وضع فوضوي لم يستقر على حال تحرري صحيح . ونجد حسان قد تزوج وانصرف الى الرسم الكاريكاتوري ، ونرى نبيل وقد عاوده قلقه الماضي بشكل اعم واعنف ، ويمزج محمد وقصد تغلف ذهنه باقصى نوازع العيشية . ثم يرحل نبيل فجأة ، ولا تمر فترة حتى تتسلم ليلى رسائل من الجزائر بعثت بها جوليا التي تطوعت في الصليب الاحمر . ويظهر نبيل في صفوف الحركة الوطنية يخوض معارك حقيقية رغم مرضه ومعاناته لازمته الوجودية الدائمة . وفي الفصل ذاته تصوير لطويلة معركة الجزائر .

ويسمع نبيل نبأ قيام الوحدة بين مصر وسورية فيرجع الى دمشق ويشارك في اعياد الوحدة من بعيد . وتطبق عليه غرفته اخيراً مع اصدقاء من الحان لكمانه فقدت عنفها الاول واستقرت على هدوء عميق رهيب .

### البناء الوجودي للرواية

يلاحظ من استعراض احداث هذه الرواية انها تجري على مستويات ثلاثة تتقارب وتتباع في آن واحد كما يحدث في الكونترابوان في الموسيقى تماما . اما هذه المستويات الثلاثة فهي :

١ - مستوى الاحداث الخارجية المحدودة ضمن اطاري الزمان والمكان . وهي احداث يتقاطر بعضها تقاطر رتيا وينقض بعضها على مسرح الرواية انقراضا مفاجئا ويظل بعضها الاخر من كسوى ذات ابعاد متباينة اطلاقا قد يبقى ملتصقا بهذه الكوى وقد يتسع ويعظم ليحتضن كل ما في انسياب الرواية من آفاق . والاحداث الخارجية عند الاستاذ مطاع ليست الا ظاهرات يقتنعها اقتناصا عفويا مما في ذاكرته من تجارب حية جينا ويخلقها خلقا يناسب الفكرة التي يريد ان يبرزها حيناً اخر . ولما كان التركيب الروائي عنده يقوم على اساس يشبه كل الشبه الاساس الذي يقوم عليه التركيب السيمفوني من حيث تعدد الزوايا والانتقال بين هذه الزوايا لتكثيفها لحظة وبسطها لحظة ثانية ، لذلك كانت هذه الاحداث في الرواية احداثا لا يعتد باهميتها من حيث كونها خارقة للمألوف او شاذة او غير منطقية . وكل ما نستطيع ان نقول عنها انها مناسبات لها صفة الواقعية جاءت لشد الاطار الوجودي وجعله يساعد في الكشف عن المستويين الاخرين .

٢ - مستوى التكون القومي . ان الوقائع والاشخاص والازمات الذاتية عند الاستاذ مطاع في هذه الرواية ليست الا انعكاسات عنيفة لحركة ظهور الانبعاث القومي في وجدان الامة . وفي هذا المستوى تطرح الرواية من خلال احداثها ونماذج شخصياتها القضايا التالية :

- ما معنى صلة الجيل بالبعث القومي من حيث ادراكه لعلاقته بحركة التاريخ ، ومدى تمثله للبطولة ، وطريقة استجابته للتفاعل القائم بين مشاكله الفردية ومشاكل الامة ؟

- من اي منطلق يتكشف البعث ، من الحركة ( العمل ) او من الوعي ؟

- ما هي صلة الفرد بالحركات القومية وكيف تتكون هذه الصلة ، وكيف تقوى او تضعف ؟

- شرعية القتل الفردي في لحظات اليأس من العمل النضالي القومي والعلاقة القائمة في مفهوم القتل بين الفكرة والعمل .

- كيف ينمزل فرد حقيقي من الجيل عن مأساة امته ووجوده ؟

- ما هو دور مركب او عقدة الفشل في العمل البطولي بالنسبة لنماذج تمثل مستويات ذهنية مختلفة ؟

- ما هو الفرق الصحيح بين الطهر والندس في السطح وفي العمق ؟

- ما هي عناصر الثورية الحقيقية وما هي مصادر هذه العناصر بالنسبة للنزوع الثقافي والحضاري عند الفرد والجماعة ؟  
 - الى اي مدى تستطيع التجربة الجديدة ان تزيل جميع رواسب التجربة القديمة ؟  
 - هل الفن من سبل الثورة او هو ملاذ يعني فيه الفرد الثوري الفاشل فشله بطريقة مغلقة ؟  
 - ما هو الفرق بين الموقف الثوري وبين الموقف القدسي ، هل يمكن ان يكون الموقفان خطأ واحدا ؟  
 - هل في الثورة من هدنة وتوقف ؟  
 - ثورة الجزائر هي المعركة الحقيقية الواقعية التي تخص اليوم عن كل العرب وعن كل الابطال الضائمين ، كما هي امل الابطال ويأسهم معا .  
 - هل هنالك بطولة مادية واخرى معنوية وما هي الحدود الفاصلة بينهما ؟  
 - ما هي حقيقة الاعتبارات الجنسية وما هي حقيقة الهالات التقليدية التي تحيط بها ؟  
 هذا الى جانب قضايا ثانوية اخرى يطرحها الاستاذ مطاع في المستوى الثاني من روايته جيل القدر .  
 ٣ - مستوى النموذجية الوجودية : ان دقائق الوصف والتطور العام لحركة الرواية ككل ولحركة الابطال كأفراد في جيل القدر لا يقفان عند حدود الاعطاء الخارجي النسبي . ان كل ذلك في اعتبار الرواية جزئيات هي بمثابة نوافذ تطل على عمق عام في النفسية الانسانية من حيث علاقتها بالوجود المطلق .  
 وتظهر النموذجية الوجودية للرواية من خلال النماذج العقيدية او الاشكالية التي تحدد خارجيا بالاطار الثقافي والوسطية المجتمعية معا ، ومن خلال النماذج الحركية او الفيزيائية التي تحدد خارجيا ضمن الاطار الشعبي غير المثقف ، هذا الاطار الذي يتميز بالبساطة والسذاجة ، وتظهر بوضوح اكثر من خلال المحاولات المستمرة للنفوذ الى مشكلة الوجود والعدم عبر تخطي المشكلة الاخلاقية وقيود القيم النسبية .  
 اما شخصيات الرواية بصورة عامة ففي بحث دوامي الحركة عن الاصالاة الانسانية في اعماق نفوسهم ، غوصا حينا وتحليقا حينا ورقصا عربيديا حينا آخر .  
 ومن هذه الشخصيات :  
 حسان : انه الشخصية الطبيعية في بحران ثوري قلبي . وهو نموذج عن بطل أزمع تكوين ذاته ثانية من خلال قصور اجتماعي وعائلي قد احيط به منذ الاصل . وكان منفذه نحو شعوره بحريته هو التعويض المستمر بالحب عن كل الفقد . وقد يكون حبا مشبوها في مثاليته ولكنه ينبئ عن ثروة البراءة والصفاء في نفس تتطلع دائما الى الكمال وتتزود من تفاؤل ذاتي على مقاومة الواقع الفاسد . ولولا الى الكمال وتزود من تفاؤل ذاتي على مقاومة الواقع الفاسد ، ولولا شابا نموذجيا في الطبيعة المناسبة . الا ان الفن قد القى في اعماقه بذرة العاصفة فانقذف دفعة واحدة الى قلب الثورية وراح هناك يخلق ثانية في وجوده نموذجية اخلاقية جديدة .  
 ولقد كان حب حسان للفن الصغيرة « نعيمة » التي هي صورة حية عن البراءة وسط الدنس رمزا موقفا لحنين حسان الى الطفولة الضائعة من حياة الجيل الهرم المهموم بشتى الوجائب امام ثورية في التفكير والسلوك والشعور .  
 ولعل هذه التجربة الحافلة التي حاول ان يعانيتها بصديق واخلاص في البداية من اسفل ، من الحياة مع الشعب ومن التطهر في عوالم بدائية الطيبة ، والوفول في اسرار الصديق والعقوبة لدى اشخاص بطوليين في اعماق قاعدة الامة . هذه التجربة جعلت الصديق الذي هو ذروة المثل بالنسبة لجيل القدر متحققا بروعته في وجدان حسان وسلوكه .

ولقد ظل صادقا حتى في هجرانه للعمل الثوري ، حتى في يأسه واقباله على الرسم الكاريكاتوري . ولعل الكاتب اراد ان يرمز من خلال هذا الموقف الفاجع الى نبالة الفشل ، فشل الابطال في تطويع الوجود للاحلاق الاولى المطلقة .

وهكذا فان الفن قد يكون فرارا من الواقع ( هربرت ريد ) ، احتجاجا على وحشية الواقع ولكنه في الوقت ذاته موقف نبالة مطلقة، موقف ادانة كلية للكاذبين والحاقدين وميددي الثورة الصحيحة . ان حسان افضل من يستطيع الادانة وكشف القابيلين للادانة ، خاصة وقد كان هو نفسه مدانا بعين ذاته وبعين صديقه نبيل في بداية التجربة . وقد استطاع ان يطهر نفسه بالرفض الكامل لسعادة المظاهر السابقة ، وقذف نفسه في حماة العمل الشاق .

كان حسان بذلك كأنه يطالب الجيل بالتخلي عن الثورية الخيالية ، الثورة العاطفية المربضة كما صورها الكاتب ابداع تصوير في الكتاب الاول . لقد اهتدى دون تعمد الى طريق الصديق الداخلي المتواضع وفاز بحريته مليئة كريمة وهو يلقي دوره بين صفوف الشعب في عمل صادق ناجح . وكان منسجما مع ذاته الجديدة عندما رجع الى الفن بعد فشل الثورة ، ولكنه لم يعد يرسم جمالا وانمسا تعارضا سخيفا في الوجود لا يستحق اكثر من التعالي والهزة العباس الكئيب بالرسم الهزلي لوجوه السادة من السياسيين والحكام الذين قوضوا الثورة من الداخل .

هاني - ويأتي هاني ليصور لنا مأساة الشاب الفلسطيني الضائع في اوج السلبية اللاعنافية . فهو يمثل مرحلة التلذذ بالخيبة والفشل، يعوض عن ارضه بحب فتاة لا يستطيع ان يفوز باحترامها . فلقد اضاع مرة الكرامة ولكنه لم يفقد ابدا توقه الى اشراقة الحرية ثانية. والدليل على نزوعه الانساني لحريته انه قذف بنفسه كذلك السى حركة ارباب ما ان سنحت له الفرصة .

ولقد ظلت هذه الشخصية محبة الى النفس ، قابلة للتعاطف

## التعريف في الادب العربي

سلسلة مستحدثة في الادب العربي حسب

المنهج الرسمي الجديد نصه

للاستاذ رثيف خوري

تمتاز بانها تجمع بين تاريخ الادب حسب العصور وتطور الفنون ، وبين اجود النصوص الادبية مشروحة ومعلقا عليها بما يوضح اسرار الجمال فيها ويربي الذائقة النقدية . وهي تشتمل على فصول خاصة تحدد ميزة كل عصر وتتوسع في درس كبار الكتاب والشعراء المطلوب درسه في المنهج الرسمي . ومن مزايا هذه السلسلة انها تعود الطالب مناقشة المواضيع الادبية وكتابة الفصول الذي تعدد الاعداد الضروري لاجتياز الامتحان الرسمي .

صدر منها حتى الان جزآن  
 الاول لطلاب الكفاءة - البريفه  
 الثاني لطلاب الصف الثاني

الثن  
 ٦٥.  
 ٦٥.

الناشر : لجنة التأليف المدرسي - بيروت

والتعارف الوجداني مهما بلغت تناقضاتها القومية والانسانية . وهذا امتداد للخط البياني الرئيسي الذي تسيير عليه الرواية اذ تبقى على الاصل الانساني في اعماق كل شخصية . مع تناقضات السلوك الخارجي .

محمد : وهو شخصية تاخر ظهورها حتى النصف الثاني من الكتاب ، غير انها برزت في الوقت اللازم من تطور عضوية المشكلة الوجودية التي يعالجها الكاتب . فهو ينهى عن الشباب الذين اغلقوا انفسهم نهائيا عن العالم الخارجي وعاشوا في سوداوية مطلقة ، تميع القيم والاحداث بالنسبة لهم وتجعلها هباء مبددا . ولقد نضج هذا الشاب قبل الاوان بفضل كفاحه وعصاميته ، وظلت حواسه ملتصقة بمنطق الواقع العملي الصرف . وكان طبيعيا ، بعد ان فجع بحبه لهيفاء ، ان تصبح عصاميته بالنسبة له مصدر فخر واعتزاز ، جاف قاس .

ولقد حدثني الكاتب نفسه ان هذا النموذج ، النموذج الذي يبدأ من الواقع ويظل سجينه الى الابد ، سوف يصبح بطلا اساسيا في الرواية التالية التي تمثل امتدادا لجيل القدر ، وهي بعنوان « شفاء العطف » .

ولعه سيكون تشخيصا مرعبا لفشل مطلق ! ولنصل الان الى شخصيات الفتيات في الرواية . هيفاء : كانت من اشرق شخصيات الرواية لما فيها من عفوية في السلوك والشعور ومن صفاء اساسي وطفولة دائمة تمتاز بهما فتياتنا الجميلات في العائلات المتوسطة التي استطاعت ان تتحلل قليلا من شكليات تقاليدنا . وحتى في لقائنا مع نبيل وفي « عدوى » الاشكالية التي سرت منه اليها فقد بينت محافظة على تلقائيتها ، وان لاقت صعوبة كبرى في محاولتها لفهم الدور الميتافيزيائي الذي كان يفرضه عليها نبيل . كانت تحب بصورة عادية ، وعندما رفض جسدها أحست بخيبة مفزعة ، سارعت الى تجاوزها بسعيها الى سبر اعماق حبيبها بصورة اكثر ، فلقد كان نبيل يأنف من كل شيء عادي ، وكانت انفته هذه تتلون وفق نظراته الى الامور ووفق مقاييسه التي يستمدتها من ذاته . كان يريد البطل ، وكان يريد الحب المطلق والفوق السى مجاهيل تراجيديا الوجود كما تبدو له من خلال كل تجربة عاطفية تعرض له .

ورغم ان وعي هيفاء المحدود قد استطاع ان يفتح تدريجيا الى مستوى معاناة التفرد الذي يضعه نبيل اساسا ميتافيزيائيا لكل فوز حقيقي بالحري ، فانها تحطمت فجأة في ذروة توترها العاطفي والوجودي . وكان انتحارها ايدانا بانتهاء مرحلة الوهم والخيال من حياة الجيل . كان في وسعها ان تكون بظلة في مستوى العاطفة الوهمية ، غير انها لم تستطع ان تكونها على مستوى الفعالية والواقع .

ليلي : اما ليلي فانها فتاة اشكالية من النوع الذي ادركته الثورية الذاتية قبل ان تلتقي بالثورية القومية . لذلك كانت حياتها صراعا متشعبا في سبيل صنع شخصيتها كما حملت دائما . ولكنها كانت تحمل مع ذلك ياسها الخاص المتمرد . حطمت نموذج ابائها ، وتحطمت نموذج الحبيب الاول ، وعندئذ لم يبق لها الا ان تندفع مع اقصى ذروة يمكن ان يبلغه التمرد الانثوي . فراححت تحطم عن وعي تارة وبدون وعي تارة اخرى المحرمات الطوبوية في مفاهيم الاخلاق الشعبية . وكانت لها مفرقتها في البيت والشارع والجامعة وفي شتى تجارب الحب والكلاسية البلهاء احيانا ، والاباحية التي تحمل بعض ظلال الوعي النسبي معا احيانا اخرى .

وكانت ليلي في ازماتها المختلفة تشخص المسألة الاخلاقية كما تعانيها المرأة العربية وهي في مجال تفتحها نحو انشاء نموذجية جديدة منطلقة تربط قيمها بالحريية الداخلية والمسؤولية الانسانية الفردية . كانت المرأة التي تخلط بين ثورية من اجل الهدف الاعظم في تحقيق الشخصية المتحررة وبين الكبت الجسدي ، وكأنها حين تفقد الامل بحرية حقيقية لا يبقى لها سوى هذه الحرية التدميرية وهي الانطلاق الجنسي . حاولت ليلي ان تشحن تجاربها باعمق معاناة واصدق انطلاقة ولكنها بقيت في اعماقها غير واثقة وعاشت هكذا في حدود مبهجة غامضة ، تتمثل فيها النوازع المتناقضة في سبيل الجمع بين رعشة اللحظة الكاملة وبين الاستغراق في المطلق .

جوليا : وهي شخصية قريبة من نموذج هيفاء من حيث كونها انثى اولا ، تتقمصها الشاعرية وتسيطر على نوازعها اجواء مثالية تقربها من التهويم الديني والصوفي . وهي من تلك الفئة التي لا تحتمل الخطيئة . وقد كانت الخطيئة الجسدية سببا لان تخلع جوليا عن ذاتها السكونية الخارجية وان تبدأ ازمة قلق حادة تدفعها الى دخول معتزك الثورة لتلقى لذاتها معادلا حقيقيا .

وما تطوعها في حرب الجزائر مع نبيل ، دون اتفاق مسبق ، سوى صورة مجسمة عن محاولة الفوز بالحريية الكبرى في خضم معركة كبرى .

وفي النهاية تاتي شخصية البطل الاساسي في الرواية وهو « نبيل » . ولقد اجلت الحديث عنه الى ما بعد الحديث عن الابطال الاخرين لسبب اولي هو ان جميع شخصيات القصة واحداثها الاساسية لا تكاد تفهم الا من خلال الجو الذاتي الجهم ، جو نبيل نفسه

## صَدْرُ حَدِيثًا

# النقد الأدبي ومدارسه الحديثية

تأليف :

ستاني هـايمـن

ترجمة :

الدكتور إحسان عباس  
والدكتور محمد يوسف نجم

هذا الكتاب مرجع الادباء والنقاد

والبحاثين في المدارس النقدية التي

ظهرت في الجيل الأخير.

الناشر : دار الثقافة - بإيترآك مع

مؤسسة فرطيين للدراسات والبحوث والنشر ببيروت

## منشورات مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني

بيروت - ص.ب ٣١٧٦ - تلفون : ٢٧٩٨٣

### سلسلة الجديد في القراءة العربية

جزءان لروضة الاطفال

خمس أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي ( الشهادة الابتدائية )

### سلسلة الجديد في الأدب العربي :

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي ( الشهادة التكميلية )

جزءان لمرحلة التعليم الثانوي ( البكالوريا )

### سلسلة القواعد العربية الجديدة :

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي ( الشهادة التكميلية )

### سلسلة دروس الاشياء والعلوم الجديدة :

خمس أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي ( الشهادة الابتدائية )

### الجديد في الجغرافيا :

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي ( الشهادة التكميلية )

جزءان لمرحلة التعليم الثانوي ( البكالوريا )

### سلسلة التاريخ الجديد :

ثمانية أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي والتكميلي

( الشهادة الابتدائية والتكميلية )

### سلسلة الحساب الجديد :

سبعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

لمرحلة التعليم التكميلية ( شهادة البريفه ) :

Physique, Chimie, Algèbre, Géometrie.

Sciences Naturelles

### اربعة أجزاء للصفوف التكميلية الجديد في البحث الادبي

( لمنهج البكالوريا )

ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره ( لمنهج البكالوريا )

Mon Nouveau livre de Grammaire

ثمانية أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي والعالي

( الشهادة الابتدائية والتكميلية )

Mon Neouveau livre de Lecture et de Français

جزءان لمرحلة الروضة - خمسة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي

( الشهادة الابتدائية )

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي ( الشهادة التكميلية )

The New Direct English Course

### أحدث سلسلة لتعليم القراءة الانكليزية :

جزءان لمرحلة الروضة

اربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي

The New Direct English Grammar

### أحدث سلسلة لتعليم قواعد اللغة الانكليزية

في ثلاثة أجزاء

الدليل العام لشهادة الدروس الابتدائية

Dictée Choieses

حساب ، انشاء ، اشياء ، تاريخ ، جغرافية ، املاء فرنسي ،

املاء انكليزي .

المسيطر على خطوط القصة في جميع مراحلها . اراد ان يجعل منه الكاتب شيئاً يبدو كالقدر الخافي لهذا الكون ، لهذا العالم الغريب المرعب الذي انكسرت ظلاله على احداث القصة ، ويظهر نبيل وكأنه شخصية فيه القدرة Omnipotent فيه الوجود Omnipresent

وإذا ما غاب نبيل ظلت فعاليته تنساب في سياق القصة وبين الاحداث وكأنه يفرض وجوده من خلال كل شخصيته ، وكأنه يهيمن عن كل سانحة مهما كانت قيمتها .

فهو اذن في جيل القدر المحرك الداخلي لنمو الحدث والطاقة الانسانية معا ، وهو العمق الاخير التي تتدافع فوقه موضوعات السيمفونيا المطلقة . وبمعنى اخر يبرز نبيل كتجريد انساني ليحتل مكان الرمز العام في السلوك الانساني المطلق فيكون بذلك وجدان الرواية ، بكل ما في وظيفة الوجدان من ازدواجية في الشعور الثابت والوعي المسؤول .

لذلك كان عقدة الشخصيات كلها ، وكانت الشخصيات بدورها رغم وجودها الخاص ، اشبه باوجه مختلفة لهيولاه وكأنهم هو ذاته في مراحل حياته التكوينية المختلفة ، وكان هيولاه تآبي التكون النهائي . وفي شخصية نبيل بعض النواحي التي تحتاج الى دراسة تفصيلية مسهية لا يمكن ان يلم بجميع نقاطها هذا البحث . الا انه مع ذلك يمكن القول ان الروائي قد تقمص هذه الشخصية الى حد بعيد . وله الحق في ذلك فكل عمل كبير لا بد لشخصية مبدعة من ان يكون لها الظل الاخير المتكون فعلا في عالم الشخصيات الموهومة . لقد كان نبيل شخصية تعرض كل تناقضات الجيل في مستوى واقعي واخلاقي وقومي وميتافيزيائي غامض سديمي . وكان ناجحا في تقييمه للاخرين وللمجتمع ولنماذج الثورتين حسب مثله المطلقة . وكثيرا ما تحدث بوجدان عام يفهمه كل من اتنى الى جيل الثورة والماساة ، الحلم والارض ، الاله والشيطان ، الوجود والعدم .

ونبيل مع الاباطل الاخرين في هذه الرواية السيمفونية يرتفعون في مستوى اشخاص عاديين يربطهم زمان ومكان معين الى مستوى نماذج اطلاقية حيث ابطل الماسي الكبرى .

في جيل القدر حظوظ انسانية عامة واحداث عربية تمثل على ارض عربية وكان الكاتب يرى من خلال هذه الاحداث شمولية الانسان العربي في مدها اللامتناهي عبر التاريخ .

ولذلك جاءت هذه الرواية الكبيرة اثرا ذاتيا ابداعيا لانسان عربي يتكون وينفصل عن دور السكون ، ليرتمي في صخب الدينامية الاصيلية التي تصف الانسان الحقيقي . انها ، كما يبدو ذلك ، لم تأت تحديا ادبيا لما هو معروف وشائع بين آثارنا العربية المعاصرة ، انما اتت تحديا حضاريا لان يكون الانسان العربي كما تتاديه الدعوة الماساوية الكبرى من خلال هذه الملحمة .

ولا يجوز في نقد هذه الرواية ان يعتمد الناقد الى تطبيق الاساليب الكلاسيكية المعروفة في الدرس التحليلي والى الاعتماد على قواعد النقد المدرسية الشكلية . ولا يمكن كذلك درسها كتفاصيل اسلوبية او لفظية . فهذه الرواية جديدة في تجربتها واسلوبها وطسرق تصويرها للانسان والحدث . ولتحليل العقد فيها معالجة غير مألوفة ، والكاتب لم ينتبه ، كما هو ظاهر ، الى اصطناع الاساليب والمواقف بقدر ما انتبه الى الاحاطة بالمضمون الكامل لبنية هذا العالم الذي خلقه . فجاءت الاساليب متنوعة بين مذكرات ووصف ذاتي وحوار داخلي واثارات من زوايا مختلفة . ولا بد للناقد النصف امام هذا الحشد السيمفوني من الشخصيات والنماذج والانفعالات والاحداث القومية والاجتماعية السابحة في خضم ميتافيزيائي يحمل حرارة الحياة وتوق الاستمرار ، من الاحاطة بكل دقائقها احاطة تامة قوامها العلم والفلسفة والتاريخ العربي في حدوده الجردة من زيف التناقضات المختلفة ، وقوامها ايضا الادب العربي في مراحل نضجة وتكامله .

اورخان ميسر